

# آداب راوي الحديث النبوي

د. سميرة الشابي

باحثة في علوم الحديث.

يتنزل تناول الموضوع في إطار اهتمام وعناية المحدثين بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوضعهم جملة من الآداب التي يحسن براوي الحديث النبوي التخلق بها قبل تصدره مجلس التحديث، ذلك أن علم الحديث، علم شريف يقتضي ممن يشتغل به التخلق بمكارم ومحاسن الأخلاق والترفع عن المساوي والردائل، وكل ما يخدش ويشين المرئ، فراوي الحديث النبوي مخبر عن قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفعله وتقريره، والتي بها تستقيم حياة المسلم في دنياه وأخراه، لذلك اهتم علماء الحديث براوي الحديث النبوي ووضعوا له آداباً تتمثل هذه الآداب فيما يلي :

## 1 - النية :

يرى علماء الحديث، أن علم الحديث أشرف العلوم على الإطلاق، للصلة الوثيقة بين المحدث ورسول الله ﷺ كما أنه محتاج إليه في جميع علوم الشريعة من تفسير، وفقه، وعلم كلام<sup>(1)</sup>... لذلك كله استوجب على المحدث أن يخلص

(1) الصنعاني : توضيح الأفكار، 382/1.

السيوطي : تدريب الراوي، 126.

النِّيةَ ويصحَّحها لوجه الله - تعالى - عند تحديثه. قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّافًا ﴾ <sup>(2)</sup>، ولقوله ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " <sup>(3)</sup>، فما من عمل إلا وتسبقه النية، وينعقد عليها القلب قبل الشروع في العمل.

جاء عن ابن الصلاح في توضيحه لعلم الحديث، وبيان علو شأنه ومقداره قوله : " علم الحديث، علم شريف يناسب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وينافر مساوئ الأخلاق ومشايين الشيم، وهو من علوم الآخرة لا من علوم الدنيا، فمن أراد التصدي لإسماع الحديث أو لإفادة شيء من علومه، فليقدم تصحيح النية وإخلاصها، وليظهر قلبه من الأغراض الدنيوية وأدناسها، وليحذر بليّة حبّ الرياسة ورعوناتها " <sup>(4)</sup>.

فإذا انعدمت النية : انعدم التحديث، ولقد رفض كثير من علماء الحديث التحديث لعدم انعقاد قلوبهم على ذلك، " فعن سفيان الثوري قال : قلت لحبيب بن أبي ثابت <sup>(5)</sup> : حدثنا، فقال : حتّى تحضر النية " <sup>(6)</sup>. و"عن ليث <sup>(7)</sup> قال : كنّا

(2) البيّنة : 5/98.

(3) البخاري : الجامع الصحيح : كتاب بدء الوحي : 1 باب كيف كان بدء الوحي، ج 1، ص 2، حديث 1.

(4) ابن الصلاح : علوم الحديث، 96 .

(5) حبيب بن أبي ثابت هو قيس بن دينار، ويقال قيس بن هند، روى عن ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وأبي الطفيل ونافع بن جببر ومجاهد وعطاء وطاوس وخلق . روى عنه الأعمش وأبو إسحاق الشيباني والثوري وشعبة وابن جريج ومطرف بن طريف وجماعة ... قال العجلي : كوفي تابعي ثقة وقال ابن معين والنسائي ثقة ... مات سنة تسع عشرة ومائة.

ابن حجر : تهذيب التهذيب : 2 / 178 .

(6) الرامهرمزي : المحدث الفاصل : 184.

(7) الليث بن سعد، أبو الحارث الفهمي، مولا هم الاصبهاني، شيخ التيار المصرية وعالمها ورئيسها، حدث عن عطاء بن أبي رباح ونافع العمري وابن أبي مليكة والزّهري ويزيد بن أبي حبيب وخلق كثير، حدث عنه محمد بن عجلان وابن وهب وكاتبه عبد الله بن صالح وخلق، كان الشافعي يقول : هو أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، مات سنة خمس وسبعين ومائة.

الذهبي : تذكرة الحفاظ : 1 / 224 - 226 .

نختلف إلى طاوس<sup>(8)</sup> فنسكت عنه، فيحدثنا ونسأله فلا يحدثنا، فقلت له ذات يوم : يا أبا عبد الرحمن نسألك فلا تحدثنا، ونسكت عنك فتبدأنا !! قال : تسألوني، فلا تحضرني فيه نية أفتأمروني أن أُملي على كاتبني شيئاً بلا نية " (9).

ذلك أن راوي الحديث النبوي، قبل الشروع في التحديث، يستجمع قواه العقلية والنقلية، حتى يكون في حالة نفسية عالية، تعينه على التحديث في أفضل الأحوال، وكانوا يعتبرون من يحدث دون نية وقرار مسبق للتحديث، مفسد للحديث، فعن ابن سيرين<sup>(10)</sup> قال : " لا تفسدوا الحديث، فإن فساد الحديث أن يحدث الرجل بالحديث وهو على غير قرار " (11).

## 2 - السنن التي يستحب فيها التحديث :

اختلف في السنن التي ينبغي فيها التحديث، ما بين الخمسين سنة إلى الأربعين، إلى ما أدناها وللمحدثين تبريراتهم، وتفسيراتهم، في تحديد سن التحديث، من ذلك ما جاء عن ابن خلاد<sup>(12)</sup> : "الذي يصح عندي من طريق

(8) طاوس بن كيسان البماني، أبو عبد الرحمن الحميري الجندي، مولى بحير بن ريسان من أبناء الفرس، قال ابن حبان: كانت أمه من فارس وأبوه من النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان وطاوس لقب. روى عن العبادلة الأربعة وأبي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم وغيرهم. وعنه ابنه عبد الله بن منبة وسليمان التيمي وسليمان الأحول والزهرى وعيرو بن دينار ومجاهد وليث بن سليم وغيرهم ... قال ابن عباس : إني لأظن طاوساً من أهل الجنة، قال ابن حبان : كان من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين. قال ابن عيينة : متجنبوا السلطان ثلاثة : أبو ذر في زمانه وطاوس في زمانه، والثوري في زمانه.

ابن حجر : تهذيب التهذيب : 5 / 8 - 10 .

(9) الرامهرمزي : المحدث الفاضل، 184 .

(10) أبو موسى مولى أنس، روى عن مولاة وابن عباس وابن عمر وجندب البجلي وشريح القاضي وجماعة، وعنه شعبة والحامدان وابن عون وخالد وهشام بن حسان وغيرهم قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي ثقة. قال خليفة مات سنة ثمان مائة وعشر ومائة.

ابن حجر : تهذيب التهذيب، 1 / 374.

(11) الرامهرمزي : المحدث الفاضل، ص 585 .

(12) الحافظ الإمام أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي الرامهرمزي، القاضي صاحب كتاب المحدث الفاضل بين الراوي والواعي في علوم الحديث. سمع أباه ومحمد بن عبد الله الحضرمي، ومحمد بن حبان المازني وعبيد بن غنام النخعي، وموسى بن هارون وجعفر بن محمد الفريابي وطبقته، حدث عنه أبو الحسين محمد بن أحمد الصيداوي والحسن بن الليث الشيرازي والقاضي أبو عبد الله بن إسحاق النهاوندي وطوائف. مات سنة ستين وثلاثمائة للهجرة .

الذهبي : تذكرة الحفاظ : 3 / 905 - 906 .

الأثر والنظر في الحدّ الذي إذا بلغه الناقل حسن به أن يحدث - هو أن يستوفي الخمسين لأنها انتهاء الكهولة، وفيها مجتمع الأشد... وليس بمستكر أن يحدث عند استيفاء الأربعين لأنها حدّ الاستواء ومنتهى الكمال، نبى رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، وفي الأربعين تنتهى عزيمة الإنسان وقوّته ويتوفر عقله ويجود رأيه " (13). ولقد ورد عن ابن عباس " قرأ حتّى إذا بلغ أشده " (14) قال : ثلاث وثلاثون (واستوى). قال : أربعون سنة " (15).

ولقد أنكر القاضي عياض (16) على ابن خلد قوله في تحديد سنّ التّحديث وأثبت بالبرهان أن كثيرا من علماء الحديث حدّثوا دون سنّ الأربعين وذكر أمثلة عدة على ذلك، ممّا يشهد به التاريخ على تضلّعهم وتأهلهم للتّحديث قبل استيفائهم الأربعين سنة، وممّا يفند به قول ابن خلد وما ذهب إليه من رأي يعتبره القاضي عياض خاصّا لا عامّا، وأنّه رأي يفتقر إلى الحجّة والدليل لتصحيحه وإثباته، يقول القاضي عياض : "وكم من السلف المتقدمين ومن بعدهم من المحدثين من لم ينته إلى هذا السنّ ولا استوفى هذا العمر ومات قبله، وقد نشر من الحديث والعلم ما لا يحصى.

هذا "عمر بن عبد العزيز" (17) توفي ولم يكمل الأربعين و"سعيد بن

(13) الرامهرمزي : المحدث الفاصل، 352-353.

(14) الأحقاف : 46 / 14.

(15) البغدادي : الجامع للأخلاق الراوي، 169.

(16) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى القاضي، عالم المغرب، أبو الفضل اليحصبي السبتي، الحافظ أصله أندلسي ... أخذ عن محمد بن حمدين وأبي علي بن سكرة وخلق من كتبه : الشفا، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك و"الإكمال في شرح مسلم". ولد سنة ست وسبعين وأربعمئة بسبّنة وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمئة ودفن بمراكش.

الذهبي : تذكرة الحفاظ، 4/ 1304 - 1307 .

(17) عمر بن عبد العزيز، أبو حفص، خامس الخلفاء الراشدين، ولد عمر بجلوان، قرية بمصر وأبوه أمير عليها سنة إحدى وقيل ثلاثة وستين، وأمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب روى عمر عن أبيه وأنس وسعيد بن المسيب وعروة وطائفة، روى عنه الزهري ومحمد بن المنكر ويحيى بن سعيد ورجاء بن حيوة، زوّجه عبد الملك ابنته فاطمة. كانت وفاته بالسّم من قبل بني أميّة لتشدّه عليهم وانتزاعه ما بأيديهم .  
السيوطي : تاريخ الخلفاء، 259 - 278 .

جبير" (18) لم يبلغ الخمسين وكذلك "إبراهيم النخعي" (19) وهذا "مالك بن أنس" قد جلس للتحديث وهو ابن نيف وعشرين، وقيل: ابن سبع عشرة سنة، والناس متوافرون وشيوخه أحياء : ربيعة (20) وابن شهاب وابن هرمز (21) ونافع (22) ومحمد بن المنكدر (23) وغيرهم...

(18) سعيد بن جبير الكوفي، سمع ابن عباس وعدي بن حاتم وابن عمر وعبد الله بن مغفل وطائفة، وعنه جعفر بن أبي المغيرة والأعمش وعطاء بن السائب وخلق، قتله الحجاج سنة خمس وتسعين وله تسع وأربعون سنة لأنه قاتله مع ابن الأشعث. وكان ابن عباس إذا حج أهل الكوفة وسأله يقول : ليس فيكم سعيد بن جبير ؟  
الذهبي : تذكرة الحفاظ، 77/1 - 76/1 .

(19) إبراهيم النخعي، أبو عمران، من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً، رواية وحفظاً للحديث، من أهل الكوفة، ولد سنة ست وأربعين للهجرة... وتوفي مختفياً من الحجاج سنة ست وتسعين، لما بلغ الشعبي موته قال : والله ما ترك بعده مثله.  
الزركلي : الأعلام، 80/1 .

(20) ربيعة بن أبي عبد الرحمن، أبو عثمان التيمي المدني، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد وحظظة بن قيس وابن المسيب والقاسم بن محمد وعنه سفيان ومالك والأوزاعي وسليمان بن بلال وخلق ... وكان إماماً حافظاً فقيهاً بصيراً بالرأي ولذلك يقال له ربيعة الرأي. قال أحمد بن حنبل : ربيعة ثقة، سئل ربيعة كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق، مات ربيعة سنة ست وثلاثين ومائة.  
الذهبي تذكرة الحفاظ، 157/1 - 159 .

(21) أبو داود عبد الرحمن بن هرمز المدني، الأعرج، مولى محمد بن ربيعة بن الحارث، سمع أبا هريرة، أبا سعيد وعبد الله بن مالك وطائفة، حدث عنه : الزهري، وأبو الزناد وصالح بن كيسان ويحيى بن سعيد وعبد الله بن لهيعة وآخرون، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عباس بن أبي ربيعة، قال إبراهيم بن سعد : كان الأعرج يكتب المصاحف. مات مرابطاً بالإسكندرية، أرخ وفاته مصعب الزبيري وطائفة في سنة سبع عشرة ومائة، وأظنه جاوز الثمانين.

الذهبي : سير أعلام النبلاء : 5/ 546 .

(22) نافع مولى ابن عمر، أبو عبد الله القرشي، روى عن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة، وسالم وعبد الله وعبيد الله وزيد أولاد مولاة، وعنه الزهري وعبيد الله بن عمر وخميد الطويل وابن جريج ومالك والليث، قال البخاري : أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر. توفي سنة سبع عشر ومائة .

الذهبي : سير أعلام النبلاء : 5/ 563 .

(23) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، القرشي، التيمي، المدني، زاهد من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم، له نحو مئتي حديث، قال ابن عيينة : ابن المنكدر من معادن الصدق. توفي سنة ثلاثين ومائة.

الزركلي : الأعلام، 112/7 .

وكذلك محمد بن إدريس الشافعي قد أخذ عنه العلم في سنّ الحداثة، وانتصب لذلك، في آخرين من أئمة المتقدمين والمتأخرين " (24).

وقد حسم ابن الصلاح الخلاف الحاصل بين ابن خلد والقاضي عياض، بأنّ تحديد السنّ للتّحديث، والقائل بذلك ابن خلد، محمول على عارف الإسناد دون تضلّع في علم الحديث، أمّا من كانت له دراية ومعرفة وبراعة في علم الحديث فيؤخذ عنه قبل السنّ المذكورة، وهذا ما ذهب إليه القاضي عياض، وضرب له أمثلة بمن حدّثوا وسنّهم دون الأربعين كما تقدّم بيانه : " قلت ما ذكره ابن خلد غير مُستنكر وهو محمول على أنّه قاله فيمن يتصدّى للتّحديث ابتداء من نفسه من غير براعة في العلم، تعجلت له قبل السنّ الذي ذكره، فهذا إنّما ينبغي له ذلك بعد استيفاء السنّ المذكور، فإنّه مظنة الاحتجاج إلى ما عنده، وأمّا الذين ذكرهم عياض ممّن حدّث قبل ذلك، فالظاهر أنّ ذلك لبراعة منهم في العلم تقدّمت، ظهر لهم معها الاحتياج إليهم، فحدّثوا قبل ذلك أو لأنّهم سئلوا ذلك إمّا بصريح السؤال وإمّا بقرينة الحال " (25).

ذلك أنّه ليس للعالم كتمان العلم، بل عليه نشره وبيّته في صدور النّاس، إذا كان أهلاً للتّحديث ونشر العلم، وإلاّ تعرّض للعقاب يوم القيامة لقوله ﷺ : " من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار " (26).

أمّا من حفظ مقالته - عليه السّلام - وأداها كما سمعها، لحقته بركة دعاء الرّسول ﷺ لقوله : " نصر الله امرأً سمع مقالتي فبلّغها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه " (27).

(24) القاضي عياض، الإلماع، 203.

وانظر : السيوطي : تدريب الراوي، 127.

(25) ابن الصّلاح، علوم الحديث، 97.

(26) ابن ماجه، السنن : المقدّمة : 24 باب من سئل عن علم فكتمه : 98/1 ح6.

(27) ابن ماجه، السنن : المقدّمة : 18 باب من بلغ علماً، جزء 1/ ص84 حديث 1.

واستحسن بعضهم الإمساك عن التحديث في سنّ الثمانين، إذا خشي الهرم والخرف والتّخلیط، ذلك أنّ بعض المحدثين قد خلط في آخر عمره، نتيجة الهرم والشّيوخوخة، فضعف عقله، مثلما وقع مع ابن لهيعة (28)، وعبد الرزّاق (29)، وسعيد بن أبي عروبة (30)، وحَبَنُوا للرّاوي في هذه السنّ المتقدّمة من عمره أن يتفرّغ للعبادة، من صلاة، ودعاء وتسييح وقراءة قرآن، ويتقاعد عن مهمّة التحديث، بعد أن أدّاه وهو في أحسن حال، حالة تمتّعه بمداركه العقلية وقوّته الجسدية، أمّا من سلم من التّخلیط والتّحريف، وكان باستطاعته التحديث رغم تقدّم سنّه، فله ذلك، إذ النّاس يختلفون في الأحوال الصحيّة.

وقد حدّث خلق بعد مجاوزة هذا السنّ، فساعدتهم التّوفيق، وصحبته السّلامة، منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد (31) وعبد الله بن أبي

(28) عبد الله بن لهيعة، أبو عبد الرّحمان الحضرمي، قاضي مصر، قال يحيى: ابن لهيعة ضعيف الحديث ... ومرة قال: لا يحتجّ بحديثه، قال ابن بكير: احترق منزل ابن لهيعة وكتبه في سنة سبعين ومائة، وقال عبد الرّحمان بن مهدي: لا أحمل عن ابن لهيعة قليلا ولا كثيرا، وقال ابن عدي: له من الرّوايات والحديث أضعاف ما ذكرت، وأحاديثه حسان. وقد حدّث عنه الثقات الثوري وشعبة ومالك وعمر بن الحارث والليث بن سعد، توفي سنة أربع وسبعين ومائة.

ابن عدي: مختصر الكامل، 450-451.

وانظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، 1/237.

(29) عبد الرزّاق بن عمر، أبو بكر التمشقي، يروي عنه الحكم بن موسى، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو مسهر: سمعت سعيدا يقول: ذهب كتابه فخلط واضطرب، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: له عن الزّهرري غير حديث لا يتابع عليه.

ابن عدي: مختصر الكامل، 592.

(30) سعيد بن أبي عروبة، الإمام الحافظ، أبو النضر العدوي، مولاهم البصري، حدّث عن الحسن ومحمّد (بن سيرين) وأبي نضرة وأبي رجاء العطاردي وقتادة وخلق كثير، وعنه بشر بن المفضل وابن علقمة وغندر ويحيى بن سعيد وروح بن عباد، وأبو عاصم وخلق سواهم، وثقة يحيى بن معين والنسائي، وهو أوّل من صنّف الأبواب بالبصرة، وقيل: إنه تغيّر حفظه قبل موته بعشر سنين، مات سنة ست وخمسين ومائة.

الذهبي: تذكرة الحفاظ، 1/177 - 178.

(31) سهل بن سعيد بن مالك، بن الخزرج بن ساعدة، أبو العباس، ويقال أبو يحيى، له ولأبيه صحبة، روى عن النبيّ وعن أبي بن كعب وعاصم بن عدي ... وعنه ابنه عباس والزّهرري وأبو حازم بن دينار ويحيى بن ميمون الحضرمي وعمر بن جابر الحضرمي وغيرهم ... عن الزّهرري عن سهل بن سعد أنّ رسول الله توفي وهو ابن (15) سنة، قال أبو نعيم وغير واحد مات سنة ثمان وثمانين، وعن الواقدي سنة إحدى وتسعين وهو ابن مائة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ... قال ابن حبان كان اسمه حزنا فسماه رسول الله سهلا.

ابن حجر: تهذيب التهذيب، 4/252 - 253.

أوفي<sup>(32)</sup> من الصحابة، ومالك، والليث، وابن عيينة، وعلي بن الجعد<sup>(33)</sup> في عدد جم من المتقدمين والمتأخرين، وفيهم غير واحد، حدثوا بعد استيفاء مائة سنة منهم : الحسن بن عرفة<sup>(34)</sup>، وأبو القاسم البغوي<sup>(35)</sup> وأبو إسحاق الهجيمي<sup>(36)</sup> والقاضي أبو الطيب الطبري<sup>(37)</sup> رضي الله عنهم أجمعين " (38).

وما دمنا نتحدث عن سن المحدث، فقد رأى البعض أنه لا ينبغي للمحدث أن يحدث بحضرة من هو أولى منه بذلك، إما لتقدم في السن أو العلم أو غيرهما، ويرد على هذا الرأي بما تقدم من رواية كبار المحدثين حالة صغر سنهم، أمثال مالك، والبخاري وغيرهما ... أما ما ورد من بعض الروايات من امتناع بعض المحدثين عن التحديث أمام من يكبرهم سناً أو علماً، كان بدافع

(32) عبد الله بن أبي أوفي، علقمة بن خالد بن الحارث، الأسلمي، أبو إبراهيم، وقيل أبو محمد، شهد بيعة الرضوان، وروى عن النبي وعنه إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي وسلمة بن كهيل، والأعمش وعطاء بن السائب، مات سنة ست وثمانين وقيل سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة .

ابن حجر : تهذيب التهذيب، 5 / 151.

(33) علي بن الجعد بن عبيد الهاشمي، أبو الحسن، شيخ بغداد في عصره، كان يتجر بالجواهر، جمع عبد الله بن محمد البغوي اثنتي عشر جزءاً من حديثه سماها : "الجعديات" مشتملة على تراجم شيوخه وشيوخهم .

الزركلي : الأعلام، 4/ 269 .

(34) الحسن بن عرفة، ولد سنة خمسين ومائة، هو أبو علي العيدي، معمر بغدادي، مؤدب، من رجال الحديث، كان مسند زمانه، توفي بسامرا سنة سبع وخمسين ومائتين .

الزركلي : الأعلام، 2 / 199.

(35) أبو القاسم البغوي، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان، حافظ الحديث، مولده ووفاته ببغداد، كان محدث العراق في عصره، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتان، وتوفي سنة سبع عشرة وثلاث مائة .

الزركلي : الأعلام، 4 / 119 .

(36) أبو إسحاق الهجيمي، الإمام المحدث، الصدوق، المعمر، إبراهيم بن علي بن عبد الله البصري، سمع من الحسين بن محمد بن أبي معشر، وجعفر بن محمد وغيرهما، وحدث عنه أبو بكر محمد بن الفضل الباسيري وغيره، كان طلاب العلم يزدهمون في مجلسه ويتسابقون إليه، بلغت مقاعد الحاضرين إليه ثلاثين ألف مقعد، توفي في آخر سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة، وعن الرامهرمزي : "ولا يعرف في الإسلام رجل حدث بعد استيفاء مائة سنة إلا أبو إسحاق الهجيمي .

الرامهرمزي : المحدث الفاضل، 623 .

(37) أبو الطيب، طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري، قاض، من أعيان الشافعية، ولد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة في أمل طبرستان، وتوفي ببغداد سنة خمسين وأربعمائة، له شرح مختصر المزني، وجواب في السماع والغناء، والتعليق الكبرى في فروع الشافعية .

الزركلي : الأعلام، 3 / 222 .

(38) العراقي : التقييد والإيضاح : 191.



التقدير والاحترام لمشايخهم، فعن سلمة بن كهيل<sup>(39)</sup> قال : " كان إبراهيم والشعبي<sup>(40)</sup> إذا اجتمعا، لم يتكلم إبراهيم بشيء لسنه " (41).

وعن الحسن بن عليّ الحلال<sup>(42)</sup> قال : " كنا عند معتمر بن سليمان<sup>(43)</sup> يحدثنا إذ أقبل ابن المبارك، فقطع معتمر حديثه، فقيل له : حدثنا، فقال : إنا لا نتكلم عند كبارنا " (44).

وعن ابن عباس أنه قال لسعيد بن جببر، حدث، قال : أحدث وأنت شاهد ! قال : أو ليس من نعم الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أخطأت علمتك<sup>(45)</sup>.

(39) سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي، أبو يحيى الكوفي، روى عن أبي جحيفة وجندب بن عبد الله وابن أبي أوفى وأبي الطفيل وزيد بن وهب، وسعيد بن جببر والشعبي، ومجاهد وجماعة، وعنه سعيد بن مسروق وابنه سفيان بن سعيد والأعمشي وشعبة والحسن وزيد بن أبي أنيسة، وحماة بن سلمة وجماعة .

عن ابن معين ثقة، وقال العجلي كوفي تابعي ثقة ثبت في الحديث، وكان فيه تشيع قليل، وقال النسائي : ثقة ثبت، قال يحيى بن سلمة بن كهيل، ولد أبي سبيع وأربعين ومات يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين ومائة .

ابن حجر : تهذيب التهذيب، 4 / 155 - 157 .

(40) عامر بن شراحيل الشعبي، راوية من التابعين، يُضرب به المثل في حفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم، من الثقات، استقصاه عمر بن عبد العزيز، كان فقيها شاعرا، توفي سنة ثلاث ومائة للهجرة .

الزركلي : الأعلام، 3 / 251 .

(41) البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي : 167.

(42) الحسن بن محمد بن الحسن بن عليّ، أبو محمد الخلال، فاضل من أهل بغداد. قال الخطيب البغدادي : " خرج المسند على الصحيحين، وجمع أبوابا وتراجم كثيرة، من كتبه : " أخبار النقلة " و" المجالس العشر " . توفي سنة تسع وثلاثين وأربع مائة .

الزركلي : الأعلام، 2 / 213 .

(43) معتمر بن سليمان بن طوخان (من موالى بني مرة)، أبو محمد، محدث البصرة في عصره، انتقل إليها من اليمن، وكان حافظا ثقة، حدث عنه كثيرون منهم أحمد بن حنبل، له كتاب في المغازي ... عن ابن خراش أنه صدوق، يخطئ من حفظه وإذا حدث من كتابه فهو ثقة، توفي سنة سبع وثمانين ومائة .

الزركلي : الأعلام، 7 / 265 .

(44) البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي : نص 167.

(45) السيوطي : تدريب الراوي، ص ص 129 - 130 .

ما أرفع ما كان يتحلّى به المحدثون من آداب جعلتهم يُجلّون ويوقّرون، ويقدرّون أكبرهم سنّاً وأكثرهم علماً، الأمر الذي جعلهم يمتنعون عن التّحديث بحضرتهم، رغم مكانتهم وتمكّنهم من التّحديث، وما أحسن ما ذهب إليه ابن عبّاس من تواضع، وعدم رِفعة، رغم علوّ شأنه، إذ سمح بالتّحديث لمن هو دونه، ليقوم عليه مرشداً، مصحّحاً للخطأ إن وقع، وهو على قيد الحياة، حتّى إذا فارق الدّنيا أمّن على من حدّث من بعده، ويكون هذا الأخير خير خلف لخير سلف.

### 3 - التّطهّر والتّطيّب للتّحديث :

كان علماء الحديث يوقّرون حديث رسول الله ﷺ حتّى إذا تصدّوا للتّحديث، أخذوا أنفسهم بجملة من الآداب، وتهيّنوا جسديّاً وروحانيّاً، واهتمّوا بأحوال الهيئة والمظهر، وأولوه عناية فائقة، توقيراً وتَعْظيماً للحديث النّبوي الشريف، فعن أبي سعيد الخدريّ<sup>(46)</sup> رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أنّ الله جميل يحبّ الجمال، ويحبّ أن تُرى نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتّبّاؤس " (47).

وكان عالم الحديث يتطيّب بعد تطهّره، قبل دخوله على جلسائه ومحدّثيه، ولا يسمح لأحد من طلابه برفع صوته في مجلس رواية الحديث . " كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث، اغتسل وتبخّر وتطيّب، فإن رفع أحد صوته في مجلسه، زجره احتراماً لحديث رسول الله ﷺ وقال : قال الله - عزّ

(46) أبو سعيد الخدري هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة، روى حديثاً كثيراً، حدّث عنه ابن عمر وجابر بن عبد الله، مات في أوّل سنة أربع وسبعين.

الذهبي : تذكرة الحفاظ : 44/1 .

(47) السّمعاني : أدب الإملاء والإستملاء، ص33.

وجلّ - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ (48).  
فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ (49).

وكان يكره للمحدث أن يحدث في الطريق، أو وهو قائم أو مضطجع  
" فعن ابن المسيب أنه سئل عن حديث، وهو مضطجع في مرضه، فجلس  
وحدث به، فقيل له، وددت لك أنك لم تتعن، فقال : كرهت أن أحدث عن رسول  
الله ﷺ وأنا مضطجع " (50).

ومن آداب المحدث الاغتسال والتطيب، والاستياك، فعن ابن عباس  
قال : قال رسول الله ﷺ " أمرت بالسواك حتى ظننت أن سينزل فيه  
قرآن " (51).

كذلك من آداب المظهر وحسنه، قصّ الأظافر والشارب... فعن أنس بن  
مالك (52) قال : " وقّت لنا رسول الله ﷺ حلق العانة وتقليم الأظفار، وقصّ  
الشارب، ونتف الإبط أربعين يوماً مرة " (53).

وعلى المحدث أن يسرح شعر رأسه ولحيته، حتى يظهر بالمظهر  
اللائق المهيب أمام الحاضرين، وبذلك أمر رسول الله ﷺ فعن ابن

(48) الحجات : 2 / 49.

(49) السمعاني : أدب الإملاء والإستملاء، ص35.

والعراقي : التقييد والإيضاح، ص192.

(50) السيوطي : تدريب الراوي، ص2 / 131.

(51) أحمد : المسند : مسند ابن عباس، 1/ 237.

(52) أنس بن مالك، أبو حمزة المدني، خادم رسول الله، نزيل البصرة، روى عن النبي وعن أبي بكر  
وعمر وعثمان وفاطمة الزهراء وابن مسعود وأبو نرّ وأبي بن كعب ومعاذ وعن أمّه أمّ سليم  
وخالته أمّ حرام ... وعنه أبو قلابة وقتادة وحמיד الطويل ومحمد بن سيرين، قال ابن المديني :  
آخر من بقي بالبصرة من أصحاب رسول الله أنس . مات سنة ثلاث وتسعين للهجرة.

ابن حجر : تهذيب التهذيب، 1 / 376 - 379 .

(53) أبو داود : السنن : كتاب الترجل : 16 باب في أخذ الشارب، 4/ 413، ح 3.

عمر<sup>(54)</sup> - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ رأى رجلاً ثائر شعر الوجه والرأس، فقال النبي ﷺ : ما على هذا (أي ما عليه لو غسل وجهه وسرح شعر رأسه ولحيته) فانطلق الرجل، وقد أخذ من شعر لحيته ورأسه، فلما رآه النبي ﷺ قال : أليس هذا أحسن " (55).

فإن كان هذا الأمر مستحسنًا للمسلم في كافة أحواله، وفي حياته العادية فمن باب أولى وأحرى أن يتحلى بذلك راوي حديث رسول الله ﷺ فالمقام يقتضي ذلك ويستوجب.

وعلى المحدث تجنب الأطعمة ذات الرائحة الكريهة، كالبصل والثوم كي لا يتأذى من رائحته الحاضرون، فينفرون منه ويكرهون الجلوس إليه، فعن جابر بن عبد الله<sup>(56)</sup> أن النبي ﷺ قال : من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو قال فليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته " (57).

ويستحب لراوي الحديث لباس الثوب الأبيض والجديد إن قدر عليه وفي هذا يقول البغدادي : " يستحب له لباس الثياب البيض ... ويكره له أن يلبس

(54) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، أول مشاهده الخندق وغزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وإفريقية، كان كثير الاتباع لأثر رسول الله، روى عن النبي وعن أبي بكر وعمر وعثمان وأبو ذر وأبو هريرة وعائشة، روى عنه ابن عباس وجابر والأغر، روى عنه من التابعين بنوه سالم وعبد الله وحزمة وسعيد بن المسيب وخلق كثير، مات سنة أربع وسبعين للهجرة .

ابن الأثير : أسد الغابة، 3 / 228 - 230 .

(55) السمعاني : أدب الإمامة والاستملاء، ص 37 .

(56) جابر بن عبد الله، أبو عبد الله، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي... قال جابر غزوت مع رسول الله سبع عشرة غزوة، قال جابر لم أشهد بدراً ولا أحداً منعتني أبي فلما قتل يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله في غزوة قط، من المكثرين في الحديث. توفي سنة أربع وسبعين وقد بلغ من العمر أربع وتسعين سنة .

ابن الأثير : أسد الغابة، 1 / 256 .

(57) البخاري : الجامع الصحيح : كتاب الأذان : 160 باب ما جاء في الثوم والبصل والكراث، 1 / 207، ح 2 .

الثوب الخلق وهو يقدر على الجديد ... وكما يكره له لبس أدرن الثياب، فكذا يكره له لبس أرفعها خوفا من الاشتهار بها، وأن تسمو إليه الأبصار فيها " (58).

ولقد حبّ الإسلام للمسلم لباس الثوب الأبيض الدال على النظافة والنقاوة والطهارة، كما أمر به لتكفين موتانا، فعن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ " ألبسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم، وكفّفوا فيها موتاكم، وإن خير أحوالكم الإثمد : يجلو البصر وينبت الشعر " (59).

ولأنّ الله - تعالى - يريد أن يرى أثر نعمته على عبده، فقد أمر رسول الله ﷺ أحد المسلمين أن يلبس الجديد النظيف من الثياب، وذلك أنّه مقتدر على ذلك وليس بفقر ومحتاج، فعن أبي الأحوص (60) عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وعلي شملة أو شملتان، فقال لي هل لك من مال ؟ قلت : نعم، قد آتاني الله - عزّ وجلّ - من كلّ ماله من خيله وإبله وغنمه ورقيقه، فقال : فإذا أتاك الله مالا، فلير عليك نعمته . فرحت إليه في حلة " (61).

ويجب على المحدث إذا قصد مجلس التحديث، عليه أن يقتصد في مشيته، ويغض بصره، ويشغل قلبه بالذكر وقراءة القرآن، قال تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (62). ذلك أنّ سرعة المشي تذهب ببهاء الوجه وتقلل من وقار المحدث وأن يبتدئ بالسّلام من لقيه

(58) البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي، 208 .

(59) أبو داود : السنن : كتاب اللباس، 13 باب في البياض، 4 / 332، ح.1.

(60) أبو الأحوص، سلام بن سليم الكوفي، الحافظ، أحد الثقات، حدّث عن زياد بن علاقة وسماك بن حرب ومنصور بن المعتمر وأدم بن عليّ وخلق ... روى عنه مسند وقتيبة وخلف بن هشام وأبو بكر بن أبي شيبة وأخوه عثمان وهناد بن السري وخلق كثير ... قال يحيى بن معين : ثقة، مات سنة تسع وسبعين ومائة مع مالك وحمام .

الذهبي : تذكرة الحفاظ : 1 / 250 .

(61) أحمد : مسند، 4 / 137.

(62) الفرقان، 63/25.

من المسلمين، ويجعل سلامه عامًا لكافة المسلمين، حتّى الصبيان منهم، ذلك أنّ إفشاء السّلام فيه نشر المودّة بين المسلمين، فيزدادون تحابيا وتآلفا ورحمة فيما بينهم (63).

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ " لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتّى تحابوا، أوّلاً أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السّلام بينكم " (64).

وإذا وصل المحدث إلى المجلس، فليمنع من كان جالسا من القيام له، فإنّ السكون إلى ذلك من آفات النّفس، والوقوف للسّلام والتّسليم باليد على القادم عادة فارسية، ويكفي الرّجل أن يسلم على الجمع بقوله " السّلام عليكم "، كما نهى رسول الله ﷺ صحابته عن القيام له، لأنّ في قيامهم تعظيما له، والعظمة لله وحده - جلا وعلا - (65) عن أبي أمامة (66) - رضي الله عنه - قال : خرج علينا رسول الله ﷺ متوكّنا على عصا، فقمنا إليه، فقال : " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضها بعضا " (67).

إذا دخل المحدث مجلس التّحديث، يستحبّ له أن يصلي ركعتين قبل جلوسه لأنّ في ذلك وضعا للنّفس والروّح أمام خالقها ومدعاة للصّدق في القول والخشوع، ولقد كانت حلق التّحديث تقام في المساجد، ودخولها يوجب سنة تحيّة

(63) السّمعاني : أدب الإملاء والإستلاء : 42 - 43.

والبغدادى : الجامع لأخلاق الرّواي : 216 - 217.

(64) مسلم : الجامع الصّحيح : كتاب الإيمان، 22 باب بيان أنّه لا يدخل الجنّة إلّا، 1/ 74 ح 1.

(65) انظر : السّمعاني : أدب الإملاء والإستلاء، ص 43 - 44.

(66) أبو أمامة البلوي الأنصاري، اسمه إياس بن ثعلبة، ويقال عبد الله، وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار ... روى عن النّبيّ وعن عبد الله بن أنيس الجهني وعنه ابنه عبد الله ومحمّد بن زيد بن المهاجر ... رده النّبيّ من بدر من أجل أمّه، فلمّا رجع وجدها ماتت، فصلّى عليها.

ابن حجر : تهذيب التهذيب، 13/12 .

(67) أبو داود : السنن : كتاب الأدب : 152 باب في قيام الرّجل للرّجل، 15 / 398، ح 2.

المسجد، وهي ركعتان. وبعد الركعتين يستقبل المحدث جماعته بوجهه إقبالاً عاماً للجميع دون أن يخصّ أفراداً دون آخرين، ليفيد الجميع، وليهتم بالكافة فتجتمع القلوب على حبه، وهذه طريقة تربوية ناجحة، فعن حبيب بن أبي ثابت<sup>(68)</sup> : "إنّ من السنّة إذا حدّث الرجل القوم، أن يقبل عليهم جميعاً ويفتتح مجلسه، ويختمه بتحميد الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ودعاء يليق بالحال، بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئاً من القرآن العظيم"<sup>(69)</sup>.

ويختم راوي الحديث مجلسه بشيء من الحكايات والنوادر والأشعار حتّى لا يملّه المستمعون، وحتّى يروّح عن النفوس، فعن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - "روّحوا القلوب وابغوا لها طرق الحكمة، فإنّها تملّ كما تملّ الأبدان، وقد كان الزهري<sup>(70)</sup> يقول لأصحابه : هاتوا من أشعاركم، هاتوا من حديثكم، فإنّ الأذن مجة والقلب حمض ". فقد كان يأخذ من كلّ شيء بطرف لإبعاد الملل والضجر.

نستنتج ممّا تقدّم، أنّ علماء الحديث، استخلصوا واستنتجوا جملة هامة من الآداب التي يجمّل بالمحدث التحلي بها عند تحديثه للحديث النبوي، استنتجوا كلّ ذلك من أخلاق الرّسول ﷺ وآدابه، وما يميّز به من صفات خلقية جعلتهم يقتدون به ويجعلونه مثلهم الأعلى في أعمالهم وأقوالهم، كيف لا، والله دعاهم إلى ذلك، لقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(71)</sup>.

(68) تقدّمت ترجمته بالصّفحة، 242.

(69) السيوطي : تدريب الراوي، ص 132.

(70) الزهري أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري المدني، الإمام، ولد سنة خمسين، وحدث عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك، وعنه عقيل ويونس والزيدي ومعمّر وابن عيينة، قال عمر بن عبد العزيز : لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية من الزهري، مات سنة أربع وعشرين ومائة.

الذهبي : تذكرة الحفاظ، 108/1 .

(71) الأحزاب : 21/ 33.